دور المدرسة والمؤسسات الاجتماعية في الحد من ظاهرة المخدرات

مناوي زاكي، عبد المنعم مكاحلية

[1] جامعة الجزائر 2

[2] جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف

ملخص: تعتبر المدرسة مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع بهدف تعليم ابنائه وتربيتهم وتزويدهم بالثقافات والتراث الثقافي، والتربية في المدرسة ليست من أجل منطلق حر لا ضابط له ولكن من أجل دعم نظرية الحياة للأمة، ذلك لأن الأمة صاحبة الرسالة يجب أن تقوم على الصغار بالتربية والتعليم ليكونوا ورثة صالحين. ويمكن للمدرسة أن تؤدي دورها في علاج ظاهرة تعاطي المخدرات من خلال الوظائف التي تقوم بها، فمن خلال المناهج والموا والمقررات يمكن أن يدرس التلميذ آثار تعاطي المخدرات وانعكاساتها المختلفة على الحالة الصحية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية وغيرها على الفرد والمجتمع.

وتعتبر الجزائر من بين المجتمعات العربية التي طغت عليها هذه الآفة حيث مست شرائح المجتمع بمختلف أنواعه كبار وشباب، وحتى الأطفال أصبحوا فريسة سهلة لهذه الآفة حيث لوحظ أن نسبة المتعاطين في الجزائر لدى التلاميذ في تزايد مستمر وخاصة لدى فئة الأحداث نظرا لضعفهم وانعدام قدرتهم وشخصيتهم الغائية عن الوعي.

الكلمات المفتاحية : المدرسة ؛ المؤسسات الاجتماعية ؛ ظاهرة المخدرات.

1- مقدمة

تشكل ظاهرة تعاطي وإدمان المخدرات مشكلة عالمية لا يكاد يخلوا مجتمع إنساني من آثارها المباشرة، وإذا كان التعامل مع المخدرات في المرحلة المعاصرة قد أخذ أبعادا وأشكالا أخرى مخالفة أو مستحدثة لما كان سائدا في الماضي، فإن ذلك لا يعني أن الظاهرة جديدة على المجتمعات، فتعاطي المخدرات موضوع ذو ماضي وحاضر ومستقبل، ولهذه الظاهرة آثار وانعكاسات عديدة لا تعد ولا تحصى فهي تسهم في دفع المدمن إلى الانحراف بشتى أشكاله، حتى الطفل الحدث لم يسلم من هذه الظواهر الاجتماعية، كما أوضحت ملاحظات خبراء انحراف الأحداث أن الأحداث المنحرفين نادرا ما يجهلون عوامل انحرافهم وغالبا ما يعرفون بأن سلوكهم لا يتفق حتى مع قيمهم.

فالإدمان على المخدرات هي قضية أمن المجتمع بالدرجة الأولى، وذلك فإننا مطالبون بأسلوب جديد وشامل في مواجهة هذه الظاهرة فإذا كانت حرب فيجب أن تكون ضدها حرب تطهير مجتمعية أولا، فلا تعتبر الدولة أو أحد أجهزتها المسؤولة على مواجهتها لأن هذا العدو من أنفسنا ولذلك تأتي أهمية المؤسسات الاجتماعية في مواجهة هذه الظاهرة وعلاجها.

فالمدرسة مؤسسة اجتماعية ولها دور هام في ربط البيئة بخطة التعليم في الدولة وعن طريق جمعيات أولياء الأمور وغيرها تتم توعية أفراد المجتمع بأضرار المخدرات وكيفية مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة التي تنتشر في المجتمع بصور مخيفة واستنادا إلى هذا سنحاول خلال هذه الورقة البحثية الاجابة على السؤال الرئيسي التالي :

هل استطاعت المؤسسات التعليمية الحد من ظاهرة الادمان على المخدرات ؟

اختلالات البيئة المدرسية وانحراف الأحداث نحو الإدمان لى المخدرات:

لقد دلت الدراسات والبحوث على أن الجريمة أكثر ما تكون شيوعا عند الصغار وأن معظم المجرمين البالغين قد بدؤوا حياتهم الاجرامية منذ سن الحداثة (1)، فالأحداث هم غالبا ضحية الظروف الاجتماعية التي أدت بهم إلى الانحراف ويرجع الفضل إلى التنويه لدور تلك العوامل وأثرها في الانحراف إلى التلميذ لمبروزو والعالم الايطالي " أنريكوفيري" حيث أكد أن الجريمة تنتج عن اسباب وهي بدورها تسبب نتائج (2).

فالتنشئة الاجتماعية لا تقتصر على الأسرة فقط بل للمدرسة دور كبير وفعال في تكوين شخصية الفرد فهي تشكل الوسيط الاجتماعي الثاني الذي يتصل به الحدث اتصالا مباشرا بعد الأسرة خاصة وهي تستقبله في مراحل نموه الأولى ومن هنا سنحاول من خلال هذا المحور تحديد المقصود بالمدرسة وأهميتها في عملية التنشئة الاجتماعية ثم إبراز وظائفها وفق النقاط التالية :

أولا: مفهوم المدرسة:

تعرف المدرسة بأنها تلك المؤسسة الاجتماعية التي أنشأها المجتمع عن قصد ووظيفتها الأساسية تنشئة الأجيال الجديدة مما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع.

كما عرفها ايميل دوركايم بأنها عبارة عن تعبير امتيازي للمجتمع الذي يوليها بأن تنقل إلى الأطفال قيمة ثقافية وأخلاقية واجتماعية يعتبرها صورة ضرورية لتشكيل الراشد وادماجه في بيئته ووسطه.

ثانيا : أهمية المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية :

يقع على عاتق المدرسة العبء الأكبر في تربية الحدث اجتماعيا وتوجيه سلوكه فهي تتولى مهمة التربية والتعليم المستمدة من أصول التراث الاجتماعي والثقافي للمجتمع ووقايته من أشكال الانحراف والإجرام، وكلما نجحت في أداء دورها بطريقة تربوية حسنة وسليمة انعكس ذلك ايجابيا على شخصية الفرد [(3)].

وبناء على ذلك يمكن حوصلة أهمية المدرسة في ما يلي:

- ✓ تأسيس الجيل الصاعد على اسس رسمها وكرسها المجتمع فهي الأداة والآلة والمكان الذي بواسطته ينتقل الفرد من حياة التمركز حول الذات إلى حياة التمركز حول الجماعة.
- ✓ تلعب المدرسة دورا بارزا في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال تزويده بالمعلومات والمعارف والخبرات والمهارات اللازمة وتعليمه كيفية توظيفها في حياته العملية وكيفية استخدامها في حل مشكلاته [(4)].
- ✓ تعليم الطفل الانضباط في السلوك واحترام الوقت، ويترتب عن ذلك اتباع الطفل جدول زمني مدرسي محدد وإخضاعه لقواعد وتعليمات ولوائح لم تكن موجودة في المنزل [(5)].
- ✓ تكمن أهمية المدرسة في تعزيز كيان المجتمع بما في ذلك الانحرافات السلوكية، كما تؤكد ذلك الاحصائيات الجنائية التي تبين ضآلة نسبة المجرمين المتعلمين، وارتفاع نسبة المجرمين الأميين وناقصي التعليم.

ثالثا: وظائف المدرسة:

تلعب المدرسة دورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها البيئة الثانية للطفل ومكملة لما قامت به الأسرة، بل إن المدرسة تتحمل الجزء الأكبر في عملية التنشئة والتربية والتعليم [6] ومن هذا المنطلق يمكن تصنيف أهم وظائف المدرسة في ما يلي:

1) وظيفة التنشئة:

تعد المدرسة مؤسسة من المؤسسات الاجتماعية الرسمية التي تضطلع بمهمة التنشئة الاجتماعية إلى جانب مؤسسات أخرى كالأسرى، وسائل الإعلام..... إلخ

وفي هذا الاطار تندرج وظيفة المدرسة ضمن النظام الاجتماعي فهي لا تكتفي بتزويد التلاميذ بالمعارف والمهارات بل تضطلع أيضا بمهمة نقل التلاميذ من وضعية أطفال إلى وضعية تلاميذ، ومن وضعية تلاميذ إلى وضعية أعضاء كاملي العضوية في المجتمع يضطلعون بواجبات ويتمتعون بحقوق وبالتالي تقوم بتحديد مكانة الفرد في المجتمع فكلما نجحت المدرسة في تعزيز الشعور بالمواطنة والإنسانية لدى الفرد زادت المناعة ضد الانحراف.

2) وظيفة التعليم والتربية:

تسعى المدرسة بالمهمة التعليمية التي تقوم على تزويد التلاميذ بالمعارف الأساسية وتدريبهم على القراءة والكتابة وطرق التفكير العلمي والمنطقي كما تقوم بإطلاع التلاميذ على معطيات الوسط الطبيعي والاجتماعي الذي يعيشون ضمنه [7] إلى جانب الوظيفة التعليمية فإنها تسعى أيضا لتوفير فرص التعليم لأفراد المجتمع ولا تكتفي بالوظيفة التربوية فقط بل تعالج مشاكل سوء التكيف التي يواجهها التلميذ بين جدرانها، فالوظيفة التربوية للمدرسة تكمن على حد تعبير الفيلسوف الانجليزي " جون ميل" في جعل الفرد أداة سعادة لنفسه وغيره فإذا نجحت المدرسة في القيام بوظيفة التربية على أحسن وجه من خلال تكوين الإنسان المتوازن في جميع جوانب شخصيته فإنها تنجح في الحيلولة دون الجنوح والإجرام والانحراف أو على الأقل التقليل منها [8].

3) وظيفة الضبط الاجتماعي:

تهتم المدرسة بالجانب الاجتماعي وذلك من خلال الحفاظ على العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية وتدريب التلاميذ على الطاعة والامتثال لقواعد المجتمع وأخلاقياته، بالإضافة إلى إعدادهم للتكيف الاجتماعي والأسري والمهني في المستقبل.

إذ تعتبر المدرسة المحيط الذي يحدد السلوك المستقبلي للطفل في المجتمع من خلال تنمية شخصيته الاجتماعية وكفاءته في نسج العلاقات الاجتماعية والنجاح في إيجاد الأصدقاء والتعامل مع المحيط الاجتماعي على نحو يليق بالمدرسة وبمكانة التلميذ في الوسط المدرسي وبشكل يجلب له الاحترام والتقدير [9].

إن تدعيم المدرسة للمعايير الاجتماعية والقيم والعادات في المجتمع من خلال أنشطتها ومناهجها تساعد المتعلمين على احترام هذه القيم مما يقلل من فرص خروجهم على المعايير السائدة في المجتمع وهذا بدوره يقلل من فرص الانحراف الاجتماعي ويساعد على استقرار المجتمع.

دور المؤسسات الاجتماعية في الحد من ظاهرة الانحراف والإدمان على المخدرات:

تعتبر المؤسسات الاجتماعية عمل ديناميكي مستمر، وتتميز هذه المؤسسات بعلاقة مباشرة بالبيئة الاجتماعية، فقد كثرت الآراء واختلفت حول مفهوم المؤسسات الاجتماعية، فالمدرسة الوظيفية تنظر إلى المؤسسة الاجتماعية على أنها نسق اجتماعي مركب ووحدة تنظيمية تتكون من مجموعة أجزاء لها استقلاليتها وهي تتشابك وتترابط بمجموعة روابط داخلية تجعل كل وحدة بنائية مرتبطة بباقي الوحدات الأخرى وتمكنها من تحقيق الهدف التي تسعى المؤسسة الاجتماعية إلى تحقيقه.

أولا : الأسرة (التنشئة الأسرية):

للأسرة دور كبير في الحد من ظاهرة انحراف الأحداث والحد من الادمان على المخدرات في أي مجتمع لأنها تعتبر في الكثير من الأحيان المسؤول الأول عن انحراف أبنائها وهي التي تستطيع توجيه أبنائها توجيها سليما إلى الطريق الصحيح، وذلك إذا توفر الأسرة المناخ المناسب والظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تؤهل الأسرة للقيام بمثل هذه المهمة.

فالأسرة هي النواة الأساسية التي يتكون منها المجتمع، وهي التي يتعلم فيها الطفل كافة أمور الحياة وهي الأساس في التنشئة الاجتماعية حيث يقضي الطفل أغلب وقته مع أسرته يتعلم منها ويسير على نهجها كما أنها توفر للحدث مكانته الاجتماعية والاقتصادية وهي المسؤولة عن أنشطة الحدث الاجتماعية والثقافية حيث تبدأ مسؤوليتها منذ الولادة، وتؤدي الأسرة دورا مهما في التكوين النفسي السوي وغير السوي فهي التي تغرس لدى الحدث العادات والتقاليد الحميدة والمفاهيم الايجابية كالتعاون والثقة أو تنمي لديه المفاهيم السلبية كالإنطواء وعدم الاندماج أو عدم الاستقرار العائلي، فالأسرة تسعى إلى تربية وتنشئة الحدث في التجاه السليم من الناحية النفسية والاجتماعية، ويتفق كل من علماء الاجتماع والنفسي بأن الأسرة المستقرة تمثل عاملا مهما في سعادة الحدث بينما تكون الأسرة غير مستقرة ومضطربة سببا في تعرض أبنائها للسلوك المنحرف والأزمات النفسية ومن ثم إلى الإدمان على المخدرات.

ويلعب الجو الأسري دورا هاما وكبيرا من خلال اكتساب الطفل الأخلاق الحميدة والاحترام المتبادل ليشعر بالطمأنينة والأمن ويحس بقيمته الذاتية.

و يتضح لنا مما سبق أن الأسرة من أهم الوحدات البنائية في أي تنظيم اجتماعي فهي تقوم بعدد من الوظائف كالوظيفة الفيزيقية دون أي مؤسسة وأي تنظيم اجتماعي آخر.

ثانيا : وسائل الإعلام :

تؤثر وسائل الإعلام بجميع أنواعها في عملية التنشئة الاجتماعية فهي تعمل على نشر المعلومات المتنوعة والمختلفة في كافة المجالات التي تتناسب مع كل الأفكار وإشباع الحاجات النفسية لدى الفرد، من زيادة في المعرفة والترفيه وتعزيز القيم مع مواقف الحياة الجديدة في كافة وسائل الإعلام مثل : التلفزيون، الراديو، الصحف، المجلات، والسينما.

وكما اشرنا فلوسائل الإعلام تأثير كبير في عملية التنشئة الاجتماعية والحد من ظاهرة المخدرات من حيث نشر البرامج والمعلومات في كافة المجالات التي تتناسب مع كافة الأعمار والتأثير بالسلوك الاجتماعي في التفاعلات الأخرى بما تقدمه من أفلام وبرامج ووسائل اخبارية ووسائل الترفيه والتسلية.

ويتلخص دور وسائل الإعلام في الوقاية من الانحراف والمخدرات بتقديمها لبعض البرامج الاجتماعية والإنسانية التي تحث على التوجيه والتربية والتمسك بالقيم والعادات الاجتماعية وتركز على أخطر أنواع الانحرافات المنتشرة كالإدمان على المخدرات وانعكاساتها السلبية على الأطفال، حيث تقوم وسائل الإعلام بإجراء مراقبة لكل البرامج قبل عرضها وهذا من قبل لجنة مختصة في اختيار البرامج المناسبة والتي تتماشى مع عاداتنا وتقاليدنا الاسلامية [10].

فوسائل الإعلام بكافة أنواعها ومؤسساتها تعتبر عاملا مساعدا ومهما من عوامل التغير والتحديث، وتنمية الأطفال وتأهيلهم ورعايتهم وتوعيتهم ثقافيا واجتماعيا، وترسيخ نطاق المعرفة لديهم ووقايتهم من الانحراف والتوجه إلى المخدرات ومن ثم الإدمان عليها.

فوسائل الإعلام أصبحت جزءا من تنمية المجتمع وتطويره، وهي الآن في متناول الجميع وخاصة الهاتف الذكي، وهو الأكثر تأثيرا على سلوك الأطفال وعلى أفراد المجتمع بشكل عام فنجد أن الطفل يقضي معظم وقته في الابحار في الانترنت مما يؤثر عليه سلبا أو إيجابا وبذلك يمكننا القول أن وسائل الإعلام تكون سلاح ذو حدين إما نافعة أو ضارة حيث تكون نافعة لاستعمالها في تنمية قدراتنا المعرفية وتعليم الأخلاق ونقل الأفكار الجيدة التي تقدم المعرفة والمنفعة للفرد وللجماعة وتكون ضارة حين تكون وسيلة للتباهي والإشهار بالمعصية وكذا وسيلة اتصال عابرة للحدود من أجل عرض أنواع المخدرات والسموم، وبهذا إذا اهملت أوساط استخدامها بطرق غير صحيحة وعدم مراقبتها فهي هنا تعرقل عملية التنشئة [11].

ثالثا: المساجد:

للمساجد وظيفة عظيمة في عملية التنشئة الاجتماعية وفي تنمية الوازع الديني وتهذيب النفس، فالمسجد منذ القدم لم يكن لأداء الصلاة فقط، وإنما كان له الدور الكبير في بناء الشخصية الاسلامية وتعاليم الدين الاسلامي.

فالنمو الديني عند الطفل يكون بالتدرج حسب مراحل عمره، فهو لا يستطيع فهم معنى المفاهيم والمعتقدات الدينية، لأن قدرته العقلية لا تستطيع إدراك المعنويات المجردة كالخير والشر والإصلاح الديني، ولكنه باستطاعته إدراك الأمور الملموسة التي يستطيع مشاهدتها.

كما أن للمساجد تأثير كبير ومهم وفعال في عملية التنشئة الاجتماعية حيث أنها تسهل وتبسط التعاليم الدينية إلى سلوك سوي يطبقه الفرد في حياته اليومية فالدين الإسلامي له الأثر الواضح والكبير والمهم في نفوس الأفراد بالأخص في مجتمعنا العربي الإسلامي فهو يسهم في تربية الأطفال وتنشئتهم التنشئة الصحيحة وصقل شخصيتهم، فالطفل يكتسب من الدين الإسلامي أو يتعلم منه اتجاهات وعادات اجتماعية سليمة.

ومن هنا يتضح لنا أن الدين الإسلامي هو الاتجاه التربوي الناجح في تنشئة الأطفال التنشئة الصحيحة كما يقع على عاتق الوالدين أيضا مسؤولية توجيه الطفل دينيا، لأنهم أكثر احتكاكا بهم فالطفل عندما يتمسك بتعاليم الدين الاسلامي وقيمه ومبادئه يجد دوره ومكانته في الأسرة التي يعيش فيها [12].

ومكانة المسجد في المجتمع الاسلامي أوضح من أن يشار غليها بحيث مثل ما نعرضه وما عرضنا إلى هذه المكانة إلا من باب معرفة ولو جزء بسيط من أثره في حماية المجتمع من الآفات والرذائل وخاصة تعاطي المخدرات.

الخـــــــــاتمة :

في نهاية هذه المداخلة يمكننا القول واستخلاص أن الآثار والأضرار الصحية والاجتماعية والاقتصادية لتعاطي المخدرات، سواء التي تلحق بالفرد المدمن وبأفراد أسرته ومجتمعه ووطنه ليست مجرد مشكلة فردية تخص الفرد المتعاطي فحسب بل هي قضية مجتمع بأكمله يجب التصدي لها، فالدين الإسلامي من خلال التشريع حرم المخدرات لأن لها نفس الآثار والأضرار مع الخمر وبذلك يكون حكم الإسلام في المخدرات وإدمانها هو الحرام وذلك لإشراك الحكم في نفس العلة حيث أن آثار وأضرار كل من المخدرات والخمر نفسها وأن استهلاكها يخالف مقاصد التشريع الإسلامي وهي الحفاظ على الدين والنفس والمال والعقل والعرض، فظاهرة المخدرات والإدمان عليهما ترتبط بالدرجة الأولى بعملية التنشئة الاجتماعية ولا شك أن تفاقم وخطورة هذه الظاهرة يرجع إلى قصور وتقصير واضح لدور المؤسسات الاجتماعية الموكلة إليها عملية تنظيم سلوك الأفراد في المجتمع، ولاسيما منهم الأطفال اللذين يتعرضون لمؤثرات الانحراف نحو الإدمان بالمخدرات، ولا يمكن إرجاع السبب إلى عامل واحد وإنما يرجع إلى تداخل وتشابك عدة عوامل وفي الختام نختم هذه الورقة البحثية ببعض الاقتراحات والتوصيات التي لعلها تساهم في الحد من ظاهرة المخدرات.

- ضرورة تفعيل دور المؤسسات الاجتماعية وبالأخص المدرسة التي تأخذ حصة الأسد في تحقيق الأمن الفكري لحماية الاطفال من المخدرات.
- إجراء العديد من الدراسات للكشف عن القصور في المؤسسات الاجتماعية، وتحديد العلاقة الكامنة بين المستويات التعليمية والثقافية وبين تبني واتباع السلوكيات المنحرفة نحو المخدرات.
- تفعيل دور وزارة العدل من خلال وضع عقوبات صارمة ضد مروجي هذه السموم مع ضرورة إدراج دواء **بريجابالين BRIGABALIN ـ ليريكا** ـ ضمن الحبوب المهلوسة الضارة خاصة وأنها تجلب بكميات معتبرة من الحدود التونسية.

المراجع:

1- حيلان بن هلال الحارثي. (2003). أثر العوامل الاجتماعية في جنوح الأحداث من وجهة نظر الأحداث المنحرفين، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ص .15

2- سمير، شعبان (2010). التدابير الوقائية لحماية الأحداث من الانحراف، دراسة مقارنة في ضوء الفقه الاسلامي والتشريع الجزائري، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير تخصص شريعة وقانون، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص- .115

3- محمد لمين، حواسي (2013). اتجاهات لمعلمي الجزائري نحو دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في جنوح الأحداث، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم الاجتماع القانوني، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 16.

4 – فاطمة الزهراء، حميمد (2011) شخصية الحدث الجانح، مذكرة لنيل الماجستير تخصص أنثروبولوجيا الجريمة، جامعة تلمسان، ص .100

5 – بوزبرة، سوسن. (2009). علاقة مراكز إعادة التربية بالعود لدى الأحداث المنحرفين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم اجتماع جنائي، ص .46

6 – إبراهيم حمد محمد حمد (2008)، أثر العوامل الاجتماعية في جنوح الاحداث، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الانسانية، العدد 02، ص .8

7 – عبد العزيز، ديلمي. (2013) وظائف وأدوار المدرسة في الوقاية من جنوح الأحداث، الأكادمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، ص .6

8 – مصباح، عامر. (2003). التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، ص .123

9 – حسيني عليمة، آخرون، دور الادمان على المخدرات في تشكيل السلوك الانحرافي لدى الأحداث، مذكرة تخرج لنيل شهادة اليسانس في علم الاجتماع،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشادلي بن جديد الطارف،2018/2017، ص 65-66.